

الباب الخامس
العقوبات المقررة للخيانة

العقوبة المقررة على الخيانة الزوجية

ماذا عن عقوبة الزنا في المنظور القانوني في قانون العقوبات؟؟
طبعاً تعتبر جريمة ولكن تختلف في حدود تطبيق العقوبة من بلد إلى آخر وهناك بلاد تطبق الشريعة الإسلامية في الزنا وتعتبره حداً من حدود الله ولهذا يطبق فيه عقوبة الرجم للزاني المحصن وعقوبة الجلد والتغريب للأعزب .

وبالنسبة للبلاد التي لا تطبق إلا القوانين المدنية فإن العقوبات المدرجة في الزنا تختلف من حيث أنها جنحة أو جناية وتخضع لقانون العقوبات كل حسب بلده.

وسوف اسرد مثالا على بعض تلك القوانين التي قد لا تطبق الشريعة وقد تستبدلها بعقوبات أخرى مخففة أو حسب ما ينص عليه قوانين تلك البلاد فمثلاً قانون العقوبات المصري ينص عَرَضَ القانون المصري لجرائم العَرَض في الباب الرابع من قانون العقوبات تحت عنوان هتك العرض وإفساد الأخلاق، وذلك في المواد ٢٦٧ حتى ٢٧٩ وهي من المواد التي يمكن وصفها بأنها ترجمة شبه حرفية لمثيلاتها الفرنسية. وفيما يتعلق بتحديد كنه الفعل المؤثم فقد بان أنه ليس الزنا، وإنما هو شيء آخر يتمثل في الاعتداء على حق الإنسان في ألا يزني إلا بإرادته، أما الزنا وفق تعريفه في شرع الله تعالى فليس مما يُشكّل في القانون الوضعي الفرنسي والمصري جريمة تستحق العقاب.

ولذلك فحين تعرض المادة ٢٧٣ وما بعدها من قانون العقوبات لزنا الأزواج، فإنها لا تعاقب أيّاً منهما بسبب إتيانه لفاحشة من الكبائر التي نهى الله تعالى عنها، وإنما هي تؤثم اعتداء الجاني على الرابطة الزوجية، ولذلك يجري نص المادة ٢٧٣ من قانون العقوبات على أنه: لا تجوز محاكمة الزانية إلا بناءً على دعوى زوجها.

ومن ذلك: أن الزوج هو صاحب الحق الوحيد في تحريك العقوبة في مواجهة زوجته، فإن عفا عنها بعد بلوغ الأمر للسلطة ولو بعد صدور الحكم سقطت عنها العقوبة، حيث تقضي المادة ٢٧٤ بأن المرأة المتزوجة التي ثبت زناها يحكم عليها بالحبس مدة لا تزيد على سنتين، لكن لزوجها أن يوقف تنفيذ هذا الحكم برضائه معاشرتها له كما كانت. هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإن الزوج الزاني في مسكن الزوجية لا يستطيع أن يحرك الدعوى في مواجهة زوجته الزانية؛ إذ إنه باعتدائه على الرابطة الزوجية يكون قد أسقط حقه في طلب العقاب على اعتدائها على ذات الرابطة.

ومن ناحية ثالثة جديرة بالعجب فإن الرجل الزوج لا يعاقب على الزنا إلا إذا كان زناه في منزل الزوجية وثبت عليه هذا الأمر بدعوى الزوجة، وفقاً لنص المادة ٢٧٧ من قانون العقوبات التي تنص على أن كل زوج زنا في منزل الزوجية وثبت عليه هذا الأمر بدعوى الزوجة يجازى بالحبس مدة لا تزيد على ستة أشهر وأعظم بها من عقوبة وينزل حكم هذا النص الفرنسي المصري بعقوبة الزنا للمحصن من الإعدام رمياً

بالحجارة وفقاً لما هو مقرر في شريعة الإسلام كحد الله تعالى لا يملك الإمام تخفيفه أو العفو عنه، إلى عقوبة الحبس اليسير لمدة سنتين .

العقوبة المقررة على الخونة السياسيين والعسكريين

أما عن عقوبة الخيانة السياسية أو العسكرية والمعروفة بالتجسس ففي حالة اكتشاف وجود خائن فإن العقوبة تختلف في حالة الحرب عن حالة السلم حيث عقاب جاسوس الحرب هو الإعدام أما عقاب جاسوس السلم هو السجن لمدة معينة.

أما عن خيانة الأمانة

فلقد حددت الشريعة عقوبات لخيانة الأمانة وهي حد السرقة وهي معروفة فقد قال تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما نكالا من الله وقال النبي ﷺ لو سرقت فاطمة بنتي محمد لقطع محمد يدها والمفهوم والذي عليه علماء الأمة وفقهائها أن القطع في ربع دينار ونظمت القوانين الوضعية المطبقة بدلاً عن الشريعة العقوبات المقررة على من خان الأمانة حيث تنص المادة ٣٤١ من قانون العقوبات المصري على: كل من اختلس أو استعمل أو بدد مبالغ أو أمتعه أو بضائع أو نقوداً أو غير ذلك إضراراً بمالكيها أو أصحابها أو واضعى اليد عليها وكانت الأشياء المذكورة لم تسلم له إلا على وجه الوديعة أو الإجارة أو على سبيل عارية الاستعمال أو الرهن أو كانت سلمت له بصفه كونه وكيلًا بأجره أو مجاناً بقصد عرضها للبيع أو بيعها أو استعمالها في أمر معين لمنفعة المالك لها أو غيره ويحكم عليه بالحبس ويجوز أن يزداد عليه غرامه لا تتجاوز ١٠٠ جنيه مصري .



الباب السادس المعالجة الشرعية للخيانة



علاج الخيانة الزوجية

وأما علاج الخيانة :فإن كانت في أدنى درجاتها، وهي التعلق المجرد الذي لم يترتب عليه فعل، فالعلاج يسير بإذن الله لمن صدق في طلبه، وهو يتلخص فيما يلي :

1- اللجوء الصادق إلى الله عزّ وجلّ، والتضرّع إليه أن يصرف هذا التعلق عن القلب، والله عز وجل لا يخيب من دعاه.

2-الابتعاد عن كلّ ما يزيد من هذا التعلق ويشعل ناره، من اقتراب أو سماع أو نظر، حتى تنطفئ نار الفتنة والتعلق، وهذا من أنفع الأدوية.

3-النظر إلى الزوج نظرة إيجابية، وتذكر ما فيه من جوانب مضيئة، وأخلاق حسنة، وتغليب هذه النظرة، على النظرة الأخرى التي لا ترى إلا الجانب المظلم.

4-تذكر عاقبة الخيانة في الدنيا والآخرة، وهوان الخائن عند الله وعند من تعلق به، فإنّ من تذكر ذلك عظمت عنده الخيانة، وكان ذلك سبباً لتركها والبعد عنها، والرضا بما قسم الله عزّ وجلّ، أمّا إن بلغت الخيانة أقصاها حمانا الله وإياكم ؛ فلا مخرج من ذلك إلا بالتوبة النصوح، والانطراح بين يدي الله تعالى بكل ذلّ واحتقار، والرضا بما سيترتب على هذا العمل الشائن من عقوبات مؤلمة، كما هي سنة الله في الانتقام لمن انتهك محارمه، والله عزيز ذو انتقام.

المعالجة الشرعية للخيانة السياسية والعسكرية

الخيانة بشكل عام تتراوح معانيها الشرعية بين السرقة من الغنيمة والتفريط في الأمانة والنقض للعهد والغدر فيما يجب أن يوفى به والكذب في الشهادة وإفشاء الأسرار للعدو وإطلاعهم على ما يجب كتمانته، وهذا المعنى الأخير بالذات وهو الخاص بالخيانة السياسية التي لها علاقة بالأجنبي هو ما يعيننا في هذا المضمار. يقول تعالى في سورة الانفال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} ٢٧ {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}. فهذا النص القرآني الكريم قد ربط بين خيانة الله وخيانة الرسول وبين خيانة الأمانات، وبَيَّن أن أكبر مبرر للشخص أن يخون هو مبرر الأموال والأولاد، وبَيَّن مع ذلك أنه مبرر مرفوض قطعياً و يؤدي إلى الفتنة، وبالتالي فلا يوجد أي مسوِّغ في الدنيا يبرر للمسلم ارتكاب الخيانة. ومناسبة هذه الآية الكريمة تؤكد هذا المعنى و تفسر سقوط جميع مبررات الخيانة جملة وتفصيلاً، فالرسول -صلى الله عليه وسلم- و بوصفه رئيساً للدولة الإسلامية في المدينة قد أرسل أبا لبابة مروان بن عبد المنذر إلى يهود بني قريظة لينزلوا على حكمه بسبب خيانتهم وتآمرهم مع العدو الأجنبي (قريش و غطفان) في غزوة الخندق ضد المسلمين في المدينة، فأبو لبابة هذا كان مبعوثاً سياسياً للرسول ﷺ مهمته تبليغ اليهود برسالة سياسية محددة هي وجوب الخضوع لحكم الدولة الإسلامية بعدما ظهرت منهم الخيانة الصريحة، ولكن أبا لبابة

الذي لم يكن مخولاً بكشف ماهية الحكم لليهود وعندما استشاروه وسألوه عن الحكم، صرّح لهم به ولمح لهم عنه بالإشارة وذلك طمعاً في المحافظة على عياله وماله الذين كانوا عندهم بإشارته إليهم بالذبح كانت الخيانة بعينها، لأنها إفشاء بالحكم للأعداء وهو مأمور بعدم إفشائه، فأدرك أبو لبابة وهو المؤمن التقى سريعاً بعد صدور الإشارة عنه بأنه قد وقع في الخيانة، وعلم على الفور بأنه قد خان الله والرسول وجماعة المسلمين، فما كان منه إلا أن عاد مسرعاً إلى المدينة وهو معترف بخيانتته، ونادم عليها، وطالب للتوبة والغفران من الله سبحانه على ما اقترفت يده من خيانة بالإشارة، فما كان منه إلا أن ربط نفسه في سارية من سواري المسجد، معترفاً بذنبه، طالباً المغفرة والعفو وراجياً أن تقبل توبته وعامله الرسول ﷺ والمسلمون بوصفه خائناً يستحق أقسى العقوبات فلم يكلموه ولم يشفقوا على حاله، وقاطعوه وتركوه مربوطاً بالسارية حتى يقضي الله في أمره. وبعد ثلاث ليالٍ عصبية من الاعتراف والندم، والإحساس المفرط بالذنب، والقطيعة المفزعة من المسلمين ومن الرسول على هذا الحدث المروّع والمذهل، نزل الوحي بالعفو والغفران فقال تعالى في نفس السورة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} فهذه المناسبة إذا يفهم منها أن حادثة أبي لبابة هي خيانة سياسية كونها تتعلق بإطلاع العدو على أسرار المسلمين وإفشاء تلك الأسرار التي

يفترض حفظها وعدم تسريبها للأعداء. وهذه الخيانة اعتبرت جريمة كبرى لكونها وصفت بخيانة الله والرسول، ويفهم من حدوثها أن الأصل فيها أنها لا تُقترف من قِبَل المسلمين إلا نادراً، فحدوثها جاء على خلاف الأصل، ولكن حدوثها مع ذلك أمر وارد، والأصل فيها إن حدثت أن يعترف من وقعت منه الخيانة بالتوبة والندم فوراً عليها وذلك كما فعل أبو لبابة، ويترتب على وقوعها عقوبة تتناسب مع حجمها ومع طبيعة الخائن ومع سرعة الاعتراف بالخيانة.

وهذا الواقع للخيانة السياسية في الإسلام يستبعد تماماً وقوعها من قِبَل الحاكم أو الرئيس أو حتى أي مسئول كبير في الدولة، وإنما إن وقعت فإنما تقع من صغار الموظفين الذين قد يكون لهم علاقة ما بالأجانب وبالأعداء.

لذلك كان حرياً بالدولة الإسلامية مراعاة واختيار الموظفين الذين لهم صلات مع الأعداء أن يكونوا من أهل التقوى والإخلاص، وأن يكونوا ممن تلقوا تدريبات مكثفة على التعامل الدبلوماسي مع الأعداء حرصاً على منع وقوع الخيانة وكشفها مبكراً إن وقعت.

على أن الأصل في المؤمن أن لا يتصف بالخيانة قط لقوله صلى الله عليه وسلم: - يُطِيع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب، ولقوله ﷺ اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة وبناءً على هذا الفهم الشرعي للخيانة

السياسية فإن خيانات حكام العرب والمسلمين في هذه الأيام هي فظائع سياسية مريعة، وجرائم لا يمكن أن تغتفر، يرتكبها حكام لا يمكن أن يتصور أنها تصدر عن أتقياء مؤمنين، خاصة وأنهم يُصرون على الاستمرار فيها ولا يعترفون بالندم على اقترافها، بل ويعتبرونها أعمالاً سياسية مشروعة ومستساغة ومبررة. فالخيانة في عرفهم قد تحولت إلى وجهة نظر، أو ربما تحولت إلى استراتيجية عمل بعيدة المدى.

فمثلاً عندما يتقدم حكام العرب بمشروع جماعي للاعتراف بالكيان اليهودي الغاصب لفلسطين، ويتنازلون له عن معظم الأرض التي باركها الله، وعندما يُصبغون الغزو الأميركي للعراق بالشرعية ويتعاونون مع قوات الاحتلال الأميركية، وعندما يمكنون أعداء الإسلام من بسط نفوذهم الثقافي والاقتصادي على البلاد الإسلامية، وعندما يقدمون الوثائق والمستندات الأميركية ضد بعضهم البعض كما فعل حاكم مصر مبارك عندما قدم المستندات على امتلاك صدام حسين لأسلحة الدمار الشامل في العراق أو كما فعل القذافي عندما قدم مستندات عن عبد القدير خان بأنه هو الذي سرّب الأسرار النووية إلى ليبيا وإيران أو عندما قدم الملك حسين معلومات لجولدا مائير عن نية مصر وسوريا بمهاجمة الكيان الصهيوني في أكتوبر عام ١٩٧٣م أو عندما قدم ابنه عبد الله الثاني معلومات للقيادات اليهودية في واشنطن مفادها أن سوريا وحزب الله ينويان ضرب أهداف في عمق إسرائيل أو عندما تقدم الحكومات العربية

والحكومات الأخرى القائمة في بلدان العالم الإسلامي معلومات لأميركا عن أشخاص من المسلمين بحجة ضلوعهم في ما يسمونه بالأعمال الإرهابية أو عندما تفرط هذه الحكومات العميلة بحق الدفاع عن مقدسات وحقوق المسلمين وثرواتهم وما شابه ذلك فإن هذه الجرائم ومثلها الكثير هي في الأصل تعتبر خيانات سياسية تستوجب أقصى العقوبات لأنها أولاً هي خيانة لله ولرسوله وبالتالي فمن يرتكبها يجب على الأقل أن يقاطع من المسلمين إن لم يعاقب، كما ويجب أن يماط اللثام عن خيانتة إن لم يُتمكن من خلعه، ويجب أن يعتبر التعاون معه والتعاطي مع حكومته بمثابة المشاركة في جريمته، وقد جاء في الأثر: إذا ظهرت من الأمير خيانة سقطت عنه الطاعة.

وإذا كان أبو لبابة الذي ربط نفسه بالسارية بسبب إدراك خيانتة، وتاب توبة صادقة نصوحة قد قوطع وعوقب منذ اللحظة الأولى على حدوث الخيانة، علماً بأن الحكم لم يكن نازلاً بحق الخونة، ومع ذلك فقد تم نبذه وتم انتظار الوحي بشأنه حتى جاءت المغفرة، فإذا كان ذلك كذلك، فإنه من باب أولى أن يُقَاطع ويُنبذ حكام المسلمين والذين هم لم يتوبوا عن خياناتهم أصلاً بل ولم يعترفوا بكونها خيانات مع أنها واضحة ساطعة كالشمس في رابعة النهار.

ومثل خيانة الحكام خيانة العلماء الذين يعتبروا من بطانة الحكام، فحديث الرسول ﷺ الذي يقول فيه: العلماء أمناء الرسل على عباد الله

تعالى ما لم يخالطوا السلطان فإن فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم، فهذا الحديث قد نص على خيانة العلماء للرسل إذا خالطوا السلطان، ومخالطة السلطان هنا لا تعني مجرد الاجتماع والاختلاط بهم ولكنها تعني موافقة السلطان على ما يقترفه من معاصي وذنوب، لذلك كان من الطبيعي أن يعامل العلماء كخونة إذا برّروا للحكام خياناتهم. فكشف الخيانات هو عمل سياسي هام سواء ارتكبتها الحكام أم تواطأ عليها العلماء، فقولاه عليه السلام في الحديث السابق: فاحذروهم واعتزلوهم يتضمن في طياته معنى الكشف إضافة إلى معنى التقرير والكشف والتقرير والنبد والمقاطعة هي معاني لا بد منها في حالة الكفاح السياسي الذي يمارسه المسلمون ضد الحكام الخونة. (١)

كيف نعالج خيانة الأمانة ؟

يرى علماء التربية وعلم النفس أن خيانة الأمانة تتطلب أن يكون لدى الخائن مهارات عقلية ، وجسمية هامة تمكنه من القيام بهذا العمل الخطير والضار ، وقد تم تحديدها بما يلي : سرعة الحركة - دقة الحواس من سمع وبصر - الجرأة وقوة الأعصاب - الذكاء - الملاحظة الدقيقة والاستنتاج .

وطبيعي أن هذه المهارات يمكن تكون أن ذات فائدة عظيمة بالنسبة

(١) عن مقال لأحمد الخطيب - بدون تصرف

لأطفالنا ، إذا ما وجهت توجيهاً خيراً وصحيحاً ، وأن بالإمكان أن نوجهها باتجاه إيجابي يخدم أطفالنا ، إذا اتبعنا الأساليب التربوية الصحيحة .
فلو وجدنا مثلاً طفلاً يمد يده إلى شيء لا يملكه ، فيجب أن نعلمه بشكل هادئ أن عليه أن يستأذن قبل أن يأخذه ، لأن هذا الشيء ليس له ، وينبغي عدم اللجوء إلى التعنيف ، وكيل الأوصاف القاسية من لصوصية وغيرها لأن هذا الأسلوب له نتائج عكسية لما نبغي.

كما أن علينا أن لا نشعر المخطئ عند قيامه بهذا العمل للمرة الأولى بأنه لص ، أو ما شابه ذلك ، حيث أن لهذا التصرف تأثير سييء على مستقبل الطفل ، بل علينا أن نتبع دوافع الخيانة لنتمكن من اتخاذ الوسائل الكفيلة بعلاجه ، ونعمل على إشباع رغبته التي دفعته للخيانة بالطرق والأساليب الصحيحة كي نجعله قادراً على ضبط رغبته والتحكم فيها .

كما أن علينا أن نخلق لدى الطفل شعوراً بالتملك عن طريق صحيح ، ونعلمه ما يخصه وما لا يخصه ، وكيف يحافظ على الأشياء التي تخصه ولا بد لنا أن نخصص لأبنائنا مصروفاً يومياً ، مع الإشراف على طريقة صرفهم للنقود ، وتعويدهم على عادة الادخار .

إن الطفل الذي يرى زملائه يصرفون النقود ، ويشترون ما يشتهون داخل المدرسة وخارجها ، ولا يجد لديه ما يشتري به أسوة بزملائه ، قد يلجأ إلى الحصول على النقود أو الأشياء بطريق غير شرعي ، وغير

سليم وهذا أثره السيئ يعود لما قد يجد فيما بعد من تعود على خيانة الأمانة .

وعلى الآباء والأمهات مسؤولية متابعة أطفالهم وخاصة المراهقين منهم ، ومراقبة علاقاتهم مع أصدقائهم ، ونوعية وسلوك هؤلاء الأصدقاء ، والحرص على أن يتخذوا لهم من الأصدقاء من الذين لا شائبة على سلوكهم .

وأخيراً فأن تعزيز الصداقة بين أطفالنا وأصدقائهم ، والمعاملة الطيبة التي يلقونها في البيت والمدرسة من قبل الآباء والأمهات والمعلمين والإدارة عامل هام لمنع وقوع الخيانة .

إن علينا أن نستغل الجوانب الإيجابية لدى أبنائنا من أجل رفع مستواهم العقلي والاجتماعي ، وجعلهم يشعرون بقيمتهم في المجتمع عندما يكونوا أمناء ، كما أن إشباع حاجاتهم المادية يجعلهم لا يشعرون بوجود تباين طبقي بين طفل وآخر ، وهذا هو أحد الأسباب الهامة التي تمنع وقوع الخيانة بين أبنائنا .

ولابد أن أشير في النهاية إلى أن الطفل الذي ينشأ في بيئة تحترم الصدق قولاً وعملاً، ينشأ أميناً في كل أقواله وأعماله ، وخاصة إذا وفرنا له حاجاته النفسية الطبيعية ، من الاطمئنان والحرية والتقدير والعطف ، والشعور بالنجاح ، فإذا ما وفرنا له كل ذلك فإنه لن يلجأ إلى التعويض عن النقص ، والذي يدفعه بالتالي إلى هذا السلوك السيئ ، والذي إذا

اعتاد عليه الطفل أو المراهق فقد يتأصل في سلوكه المستقبلي عند الكبر ، وقد يتحول البعض إلى مجرمين محترفين .
ولا يفوتنا أن نغرس في نفس الطفل العادات القويمة ونعلمهم أن الحق سبحانه أمر بأداء الأمانات ونحضهم على ذلك ونلتزم بها كسلوك لنكون قدوة لهم قلنا أمرهم بشئ ولا نلتزم به .

المصادر والمراجع

- ١ - النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة - ابن تغري بردي.
- ٢ - تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقيا ومصر وبلاد الشام - د. محمد سهيل طقوش .
- ٣ - أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين - يوسف الشيخ عيد.
- ٤ - الدولة الفاطمية دولة التفاريح والتباريح - جمال بدوي .
- ٥ - الكامل لابن الأثير .
- ٦ - عبد الله بن سبأ ودوره في أحداث الفتنة.
- ٧ - الإنقاذ من دعاوى الإنقاذ للتاريخ الإسلامي للدكتور سليمان العودة.
- ٨ - الشيعة والسنة - إحسان إلهي نظير .
- ٩ - البداية والنهاية .
- ١٠ - استشهاد عثمان ووقعة الجمل - خالد الغيث.
- ١١ - تاريخ الطبري .
- ١٢ - انظر كتاب العواصم من القواصم .
- ١٣ - عدة مقالات لكل من - د . حامد خليفة - محمد الجندي - د . وائل فاضل علي - د . حسان المالح.
- ١٤ - مقالات الإسلاميين - أبي الحسن الأشعري .

- ١٥- الفرق بين الفرق - البغدادي.
- ١٦- إسلام بلا مذاهب د . مصطفى الشكعة .
- ١٧- طائفة النصيرية د . سليمان الحلبي .
- ١٨- الألوهية في المعتقدات الإسلامية- فاروق الدملاجي.
- ١٩- البداية والنهاية .
- ٢٠- الإعلام خير الدين الزركلي .
- ٢١- الحركات الباطنية في العالم الإسلامي - د محمد أحمد الخطيب.
- ٢٢- مؤامرات الدويلات الطائفية - أ محمد عبد الغني النواوي.